

## أولا : مقدمة تحليلية

الدراسات التاريخية الأكاديمية دائما ما تصور لنا حياة الأمم بكافة أشكالها وألوانها المضحكة منها والمبكية ، المليئة بالورود أحيانا والكثيرة الأشواك أحيانا أخرى فكما أنها توضح لنا الانتصارات التي تفخر بها الأمم توضح أيضا المصاعب والهزائم والانكسارات التي تتعرض لها بعض الأمم ، ونظرا لأن أساس هذه الدراسات هو البحث عن الحقيقة ، فان الحقائق دائما ما تستخلص من بطون الوثائق ، حيث انها السند الرئيسي للمؤرخ كما أنها المادة الخام التي تحمل بين سطورها تراث الأمم وكفاحها ، والتي يجد عندها المؤرخ دائما الحقائق المفقودة التي كاد النسيان يطويها .

وأهمية الدراسات الوثائقية أنها دائما ما تضيف دلالات جديدة للأحداث التاريخية ، وتجعل المؤرخ يقف على حقائق الأمور دون أدنى شك أو مواربة ، وقد تغير مفاهيم خاطئة قد توارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء فأخذت ثوب الحقيقة في غير استحقاق .

ونتيجة لذلك فقد عزمنا - بمشيئة الله تعالى - على اخراج سلسلة من الدراسات عن وثائق عابدين الخاصة ببلاد الشام في عصر محمد على كان باكورتها دراسة صدرت تحت عنوان « الجيش المصرى وفتح عكا » .

وها نحن أولاء نقدم الدراسة الثانية عن ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد على في بلاد الشام وسنتبعها بدراسات أخرى ان شاء الله .

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة التي بين أيدينا على مجموعة منتقاة

من وثائق بلاد الشام اشتملت على بيانات وتقارير حربية ومراسلات من قادة القوات المصرية بالشام الى محمد على والى مصر ، كما اشتملت على أوامر وتعليمات محمد على الى هؤلاء القادة بخصوص سير العمليات والخطط التى يجب اتباعها والتى يتضح منها الاستعدادات الخاصة بمواجهة الدروز والوارنة ، كما يتضح منها أيضا مدى المعاناة التى لاقاها الجنود المصريون أثناء اخمادهم لهذه الثورات التى تصدعت فيها هيبة الجيش المصرى مما شجع على انتقال هذه الثورات الى كافة أنحاء الشام ، وأطاح بالوجود المصرى هناك فى نهاية الأمر •

كما تبين هذه الوثائق مدى مساندة بعض القوى الأوربية للثوار وتشجيعها لهم حتى مقاومة السلطة المصرية حتى لا تتعاظم قوة محمد على وينتهى الوجود المصرى فى الشام •

وقد قسمنا وثائق هذه الدراسة الى خمسة أقسام شمل القسم الأول منها وثائق خاصة بأسباب ثورة الدروز والتى كان من أهمها اصرار ابراهيم باشا على تجنيدهم ، ونزع سلاحهم واثقال كواهلهم بالضرائب ، وكيفية مواجهة القوات المصرية لهذه الثورة •

وشمل **القسم الثانى** الوثائق التى تبين مدى استفحال أمر هذه الثورة وانتشارها من حوران الى وادى التيم ، وتخرج مركز القوات المصرية أمامها ، وتعذر السيطرة عليها •

وتناول **القسم الثالث** الوثائق الخاصة بنجاح القوات المصرية فى اخماد هذه الثورة بعد طول عناء وهزائم متكررة •

وشمل **القسم الرابع** وثائق خاصة بثورة الوارنة وأسباب انقلابهم على ابراهيم باشا بعد أن كانوا حلفاءه الأصليين ، واثارتهم للموقف برمته ضد الحكم المصرى فى الشام •

أما القسم الخامس فقد شمل الوثائق التي تؤكد تحريض بعض الدول الأوروبية والدولة العثمانية للثوار على مناوأة الحكم المصرى فى بلاد الشام ، والتي أدت فى النهاية الى انسحاب القوات المصرية من هناك .

وفيما يلى نعرض للموضوع :

### أولا — الحكم المصرى وأسباب ثورة الدرور عليه :

بعد استسلام حامية عكا فى مايو ١٨٣٢ تمكن ابراهيم باشا من دحر الجيش العثمانى والاستيلاء على باقى بلاد الشام بسهولة كما تمكن من اكتساب محبة أهالى هذه البلاد بعد أن مناهم بالعديد من الوعود الخلابه ، ووطد الأمن فى بلادهم بعد أن كانت مهذا للفتن والقتال والثورات ، وأكره البدو على احترام سلطة الحكومة ، وحوى السكان من اعتداءاتهم ، وعامل الرعايا بالعدل ، وجعل لهم نظاما لجباية الخراج بعد أن كان مثل هذا النظام معدوما لديهم ، وانعش الزراعة والصناعة والتجارة يضاف الى ذلك أنه أظهر فى حكمه الانصاف والمساواة بين كافة الأديان بعد أن بلغ التعصب الدينى أقصى شدته فى ذلك الوقت فألغى التدابير التى كانت موجهة ضد نصارى الشام واتخذ من بعضهم عمالا وقوادا ، كما سمح للبعثات التبشيرية بالتوافد الى بلادهم<sup>(١)</sup> ، ومع ذلك فان طبيعة التكوين السكانى فى هذه المنطقة وتعدد عناصرها وعقائدها ، وتعصب كل طائفة لعقيدتها ، خصوصا بين المسلمين والمسيحيين<sup>(٢)</sup> جعل

---

(1) Hourani, A. H., Syria and Lebanon, A Political Essay, Royal Institute of International Affairs, Oxford university press, printed in Lebanon. p. 160.

(2) Dodwell, H : The Founder of Modern Egypt. A Study of Muhamed Ali. Cambridge at the universit press 1931, p. 249.

ولطيفة سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١ — ١٨٤١ ، القاهرة

من الصعب على ابراهيم باشا أن يرضى جميع الأطراف لأن أرضاءه  
لطائفة ما دائما ما كان يغضب طائفة أخرى .

ولما كان سكان جبل لبنان فى معظمهم اما دروز<sup>(٣)</sup> أو

---

(٣) الدروز هم غلاة الشيعة الاسماعيلية الذين الهوا الحاكم بأمر الله  
الخليفة الفاطمى ويعتبر « حمزة بن على الزوزنى » المؤسس الحقيقى لمذهب  
الدروز كما يعتبره « نشتكين الدرزى » الفارسى الأصل أول من دعا الناس  
الى الاعتقاد بالوهية الحاكم بأمر الله معبود الدروز وعبادته عبادة سرية ،  
وبالرغم من تظاهر الدروز بالاسلام فانهم ينكرون اصوله كما ينكرون الاديان  
السماوية جميعها ولا يعترفون بالانبياء ولا بالرسل ويعتقدون فى تناسخ  
الأرواح ويحرصون أشد الحرص على كتمان عقائدهم السرية وينكرون ما يؤخذ  
عليهم منها . للتفاصيل انظر :

١ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى  
والاجتماعى ، ج ٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٣ ، ص ٢٠٥ .

ب — عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى  
عليها ، ج ١ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ، ص ٩٢ .

ج — مؤلف مجهول : حسر اللثام عن نكبات الشام ، القاهرة — الطبعة  
الأولى ١٨٩٥ ، ص ٥١ .

وتمتاز هذه الطائفة بالشجاعة والاستبسال فى الحرب ، وتتركز معظمها  
فى الجبال بين صفوف القبائل العربية والمتعربة كالتنوخيين والمعنيين  
والارسلانيين والجنبلاطيين حيث ساد أفراد تلك الطائفة فى مناطق الشوف  
والغرب والجرد والعرقوب ووادى ريحان والمتن ووادى التيم وحوران ،  
وأصبحت هذه المناطق تعرف بجبل الدروز أو جبل الشوف فى عهد المعنيين  
والشهابيين . للتفاصيل انظر :

١ — حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين — تحقيق أسد  
رستم وفؤاد البستاني ، ج ٣ ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٣ ، ص  
٥٦٥ — ٦٠٥ .

ب — بدر الدين الخصوصى : القضية اللبنانية فى تاريخها الحديث  
والمعاصر ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧ .

موارنة<sup>(٤)</sup> ، وكل من الطرفين يعد الآخر بمثابة العدو اللدود له ، فان اتباع ابراهيم باشا لسياسة التسامح الدينى مع نصارى الموارنة جعل الدروز يعدون هذه السياسة بمثابة انتقاص لحقوقهم ، ففى حين نظر اليها الموارنة نظرة الاعجاب ، ووقفوا بجانب ابراهيم باشا وعدوه بمثابة القائد المحرر لهم ، ومن هنا فقد ناصب الدروز ابراهيم باشا العدا ، وآزروا العثمانيين ضده - وأظهروا طاعتهم للسultan نكابة فيه ، وأثاروا الفتنة ضد القوات المصرية منذ بداية الأمر ، مما جعل ابراهيم باشا يقوم باخمادها ويعيد الأمن الى الجبل ، وحتى لا تتكرر مثل هذه الثورة أخذ ابراهيم باشا من كل قرية من قرى الدروز رجلين كرهائن لديه<sup>(٥)</sup> كما أخذ مائة من عقلائهم وعلمائهم ، ووضع بعضهم رهائن لدى حليفه الأمير بشير<sup>(٦)</sup> أما البعض الآخر فقد نفاه الى مصر لفترة<sup>(٧)</sup> ثم أعادهم الى بلادهم نتيجة للاحاحهم<sup>(٨)</sup> ، وتعهدهم بعدم التشجيع على الثورة ضد الادارة المصرية فى الشام مرة أخرى .

• وقد طالب ابراهيم باشا الدروز باظهار صدق خدمتهم له ، وأن يجمعوا رجالهم الذين يحملون السلاح لمساندة قواته فى نظير بعض الوعود الخلابه التى مناهم بها ، وتهديده لكل من يتخلف منهم أو يتأخر بالعقاب<sup>(٩)</sup> .

---

(٤) الموارنة هم أهم الطوائف المسيحية فى لبنان ، وقد أدخلتهم فرنسا كنفها خلال فترة الحروب الصليبية .

(٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ تلخيص الوثيقة رقم ١٨ المستخرجة من جرنال يوم السبت ٥ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ .

(٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة رقم ٢٦ بتاريخ ٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ مكتابة من ابراهيم باشا الى الجنب العالى .

(٧) الخصوصى : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٣ ترجمة الوثيقة رقم ٤٨ بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٥٢ هـ المرسله من ابراهيم باشا الى سامى بك .

(٩) الأمير حيدر الشهابى : لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين ، ص ١٦٢ .

ونظرا لما شاهده الدرّوز من حسن سيرة جنود ابراهيم باشا فى بلادهم وعدم تعرضهم لمس كرامتهم وأموالهم فقد أعدوا حساباتهم<sup>(١٠)</sup> ووقفوا بجانبه لفترة وتقدموا له المساعدات الحربية التى سهلت تموين جيوشه وحفظت خطوط مواصلاته ثم سرعان ما انقلبوا عليه نظرا لتلون سياسته تجاههم تراجعهم عن وعوده نحوهم ، وفرضه للضرائب والجزية عليهم ورغبته فى اضعاف قوتهم<sup>(١١)</sup> يضاف الى ذلك قيامه بتجنيدهم ونزع سلاحهم • وفيما يلى نعرض لأهم هذه الأسباب •

### ١ - تطبيق نظام التجنيد الاجبارى :

كانت محاولات تطبيق نظام التجنيد على الدرّوز بالرغم من نفورهم منه أكبر الأثر فى تدميرهم من الحكم المصرى لبلادهم فعلى الرغم من وعود ابراهيم باشا لهم باعفائهم من التجنيد فقد اضطر الى الاستجابة لأوامر والده بتجنيدهم فجمع كبار مشايخهم وطالبهم بتقديم ألف وستمئة شاب من الدرّوز<sup>(١٢)</sup> لتكوين أحد 'الآليات منهم'<sup>(١٣)</sup> ، كما أمر بتجنيد بعض الثشبان من درّوز حوران ووادى التيسم ، وكانت اجابة المشايخ على طلبه بأنهم لا يستطيعون اكرام أحد من الدرّوز على دخول الجنديّة ، وتقاديا للصدام مع السلطة عقد زعماء الدرّوز مجلسا للمشاورة فى الأمر قرروا فيه مقابلة ابراهيم باشا واقناعه بالاستعاضة عن تجنيد رجالهم بدفعهم للبدل العسكرى<sup>(١٤)</sup> ، ولكن ابراهيم باشا رفض طلبهم

---

(١٠) سليمان ابو عز الدين : ابراهيم باشا فى سورية ، بيروت ، المطبعة العلمية ١٩٢٩ ، ص ٢٥٦ .

(١١) عبد الرحمن الرافعى : عم محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥١ ، ص ٣٠٠ .

(١٢) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٩١-١٩٢ .

(١٣) محافظ عابدين : عريضة رقم ٩٥ بتاريخ غاية ربيع الاول ١٢٥٦هـ .

(١٤) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦١ .

وأصدر أوامره بتجنيدهم رغم تحذير الأمير بشير له من مغبة العواقب المترتبة على ذلك .

وتنفيذاً لهذه الأوامر بدأت القيادة العسكرية فى جمع الأعداد اللازمة للتجنيد من الدروز ، واستعملت فى ذلك القوة خلال جمعهم كلما اقتضى الأمر ذلك<sup>(١٥)</sup> ، مما أدى الى تكاتف الدروز ومقاومتهم لهذه السياسة<sup>(١٦)</sup> .

والسؤال المطروح هو هل كان اقبال محمد على على فكرة تجنيد الدروز ينطوى على بعد النظر أم كان تسرعاً منه ، وقراراً اتخذه دون روية ؟

الواقع أنه على الرغم من حاجة محمد على الشديدة الى تجنيد الشوام نظراً لاتساع حروبه مع الدولة العثمانية ، وحتى يسد متطلبات جيشه الملحة فإنه كان من الخطأ تطبيق قانون التجنيد الاجبارى فجأة على الدروز وذلك لعدة أسباب هى :

١ - أن محمد على كان حديث العهد بهذه البلاد ، ولم ترسخ فيها أقدامه بعد ، كما لم تستقر الأمور لقواته فيها تماماً مما جعل عواقب هذا الأمر غير مضمونة .

٢ - أن الدروز لم يتعودوا على نظام التجنيد الاجبارى من قبل بل كانوا يعدونه من باب القاء النفس فى التهلكة ، ومن هنا قاوموه بكل شدة .

٣ - أن الأمير بشير الشهابى وهو من أدرى الناس بنفسية الدروز كان قد حذر من التسرع فى اتخاذ هذه الخطوة ، ولكن محمد على لم يأبه لتحذيره .

---

(١٥) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .  
(١٦) مؤلف مجهول : مرجع سابق ، ص ٦٩ .

وعلى كل حال فإن من يقدر الخسائر المكاسب التي حصل عليها محمد على من جراء تجنيده للدروز يجد أن ثوراتهم قد أودت بحياة ما يزيد عن عشرة آلاف من قوات محمد على ، وهو رقم أكبر بكثير من عدد الدروز الذين أدخلهم محمد على فى سلك الجندية ، بل وأكثر مما خسرتة جيوش محمد على فى الحروب مع الجيوش العثمانية نفسها سواء فى الشام أو فى الأناضول<sup>(١٧)</sup> .

قد يقول البعض ان ابراهيم باشا قد اضطر الى تنفيذ تعليمات والده بخصوص تجنيد الشوام عموما .

والواقع أنه كان يجب على ابراهيم باشا اقناع والده بالعدول عن ذلك ولو الى حين حتى لا تنفر قلوب أهالى الشام من حوله خصوصا وأن مسألة التجنيد قد قللت من أنصار محمد على فى الشام<sup>(١٨)</sup> وكانت من أكبر العقبات التي واجهته هناك .

وعلى كل حال فإنه نظرا لفشل ابراهيم باشا فى تجنيد الدروز فإنه عمد الى نزع سلاحهم أولا مما زاد الفتيل اشتعالا .

## ٢ - نزع السلاح :

كانت أوامر محمد على بتجريد أهالى الشام من أسلحتهم صفقة قوية لهم نظرا لتأصل غريزة جمع السلاح فى نفوسهم ، وللظروف الطبيعية التي يعيشونها والتي تحتّم عليهم حملهم للسلاح .

وبالرغم من نجاح ابراهيم باشا فى جمع السلاح من معظم المناطق الواقعة تحت حكمه ، فإنه وجد صعوبة بالغة أثناء جمع السلاح من الدروز الذين كان قد وعدهم من قبل بالابقاء على سلاحهم فى نظير

(١٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(١٨) محمد كرد على : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

تأبيدهم له ، ثم نكث عهده معهم تنفيذا لأوامر والده ، فى حين سمح للموارنة أعداء الدروز بحمل السلاح .

ولما أرسل ابراهيم باشا وزيره محمد شريف لجمع السلاح من الدروز لم يكن الأمر سهلا بالنسبة له فقد وجه معارضة كبيرة منهم كادت تصل الى حد الاصطدام ، ونتيجة لتأزم الموقف قام مشايخ الدروز بزعامه يحيى الحمدان بمقابلة ابراهيم باشا فى دمشق فى محاولة لاثناؤه عن فكرة جمع السلاح من أبناء جلدتهم ، وتذكيره بوعوده لهم بشأن ذلك ، ويبدو أن ابراهيم باشا لم يرتح لطلباتهم فقام وصفع زعيمهم يحيى الحمدان على وجهه ، كما نهر بقية أعضاء الوفد ، ونتيجة لذلك خرج زعماء الدروز من عنده ، وكلهم بتصميم على المقاومة فمقدوا اجتماعا بعد وصولهم الى السويداء قرروا فيه اعلان الحرب على ابراهيم باشا وقواته (١٩) .

وحتى لا يتكثل أهالى الجبل ضد محمد على رأى ابراهيم باشا أن يقوم ببذر بذور الشقاق بين الدروز والنصارى فى محاولة منه لضرب بعضهم البعض فاستمال نصارى الجبل اليه ، ووزع عليهم السلاح وطلب منهم المساعدة للقضاء على ثورة الدروز ، وأوهمهم بأنه لن ينزع سلاحهم بل سيكتفى بنزع سلاح الدروز ، ونتيجة لذلك وافق الموارنة على مساندةهم فجند منهم أربعة آلاف مقاتل لاضماد الثورة التى أشعلها الدروز فى حوران ووادي التيم (٢٠) ، وبعد أن نجح ابراهيم باشا فى القضاء على هذه الثورة بمساعدة الموارنة ، وبعد أن انتهت من نزع سلاح الدروز رأى ضرورة نزع سلاح الموارنة أيضا مما كان له أسوأ الأثر فى اندلاع ثوراتهم ضده والتى استمرت مشتتة ولم ينطفئ لهيبها الا بعد خروج الحكم المصرى من الشام تقريبا .

---

(١٩) حنا أبى راشد : جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيدان العمومية ، الطبعة الاولى ١٩٢٥ ، ص ٤٨ .  
(٢٠) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

### ٣ — الضرائب والاحتكار والسفرة :

على الرغم من اعلان ابراهيم باشا عن عزمه على رفع المعاناة عن الأهالى ووضعه لنظام جديد للضرائب خفف فيه عن كواهل الناس الكثير منها مما جعلهم يرتاحون لحكمه فى أول الأمر فان حاجة والده الى الأموال لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية جعلته يبحث عن منابع أخرى لسد متطلباته ومن هنا فرض ضرائب جديدة على الأهالى زيادة على ما اعتادوا دفعه ، ومن ذلك أنه أمر بفرض ضرائب على كل فدان من الأرض دون النظر الى ما تستخرجه هذه الأرض من انتاج ، مما جعل بعض أصحاب الأراضى يضطرون الى تركها والرحيل عنها ، يضاف الى ذلك أنه فرض ضريبة سنوية على الأشجار اختلفت قيمتها من منطقة الى أخرى<sup>(٢١)</sup> والى جانب ذلك فرض ضريبة ( الفردة ) « الرأس » التى نم تكن معروفة لدى أهل الشام فى ذلك الوقت فدفعها الذكور من السكان عن كل فرد من سن الرابعة عشرة وحتى سن الستين وقام بتحصيل الجزية على جميع الأفراد دون تمييز بين الجنسية أو الديانة<sup>(٢٢)</sup> مما جعل المسلمين ينفرون من ذلك .

يضاف الى ذلك قيامه باحتكار أصناف الحرير للحكومة مما ألحق الضرر بمنتجيه ، ومنع التنافس بين التجار على شرائه وحرم المنتجين مكاسبهم منه<sup>(٢٣)</sup> .

---

(٢١) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٢٢) حنا ابى راشد : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢٣) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٣ ، والرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

هذا الى جانب استخدامه للشوام فى التنقيب عن المعادن (٢٤) وتسخيرهم فى القيام على خدمة مشاريع الحكومة .

كل هذه الأمور زادت من الاستياء العام لدى الشوام ، وجعلتهم يعملون على التخلص من حكم محمد على فى بلادهم ويتمنون عودة الحكم العثماني (٢٥) .

#### ٤ - انشاء الحجر الصحى :

نظرا لتفشى مرض الطاعون فى بلاد الشام خلال فترة تواجد ابراهيم باشا رأى محمد على انشاء محجر صحى حول المنازل التى ظهر فيها هذا المرض ، ونظرا لما أشيع أن الذين يتوفون بهذا المرض يدفنون بدون غسل ، وبدون أن يصلى عليهم بل يتم احراقهم بالجير منعا لانتشار المرض والحد من مفعوله (٢٦) فقد استاء الأهالى من ذلك وطالبوا بالغاء هذا المحجر ، وشجعهم على ذلك علماء الشام الذين عدوا اقامة مثل هذا المحجر لا يتفق مع تعاليم الشرع الشريف (٢٧) .

وعلى الرغم من استياء الناس من هذا المحجر ، وبالرغم من أنه لم يأت بالفائدة المرجوة منه (٢٨) فقد أصر محمد على على بقاءه ، واستمر

---

(٢٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، ترجمة الكتاب العربى الوارد ضمن تقرير بحر برا رقم ١٥٤ - ٣ .

(٢٥) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨ .

(٢٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ، وثيقة رقم ١٨ - ٣ فى ٧ محرم ١٢٥٦ هـ .

(٢٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٠٠ - ٣ بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ .

(٢٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ - ٣ فى ٣ ربيع الآخر ١٢٥٦ هـ .

العمل فيه حتى هاجمه الثوار ، واضطرت الحكومة الى ايقاف تشغيله (٢٩) .

#### ٥ — مناصبة الحكم المصرى العداة فى شخص الأمير بشير :

أدى استعانة محمد على بالأمير بشير الشهابى الى استيلاء اللبنانيين منه (٣٠) لأنهم كانوا يرون فى الأمير بشير حاكما مستبدا أوقع بين مشايخهم ، وصادر ممتلكاتهم ، وبذر بذور الشقاق بينهم .

---

(٢٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ — ٦ .

(٣٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة رقم ٢٦ بتاريخ

٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ .

## ثانياً — استفحال ثورات الدروز وتصعد هيبة الجيش المصرى أمامها :

ونتيجة لهذه الأسباب التى اتخذتها الإدارة المصرية أشتعلت الانتفاضات بين أهالى الجبل فتحالف دروز حوران مع البدوى فى أواخر نوفمبر ١٨٣٧ وكونوا جبهة مناهضة ورافضة للحكم المصرى فى بلادهم، فقطعوا الطرق على المارة<sup>(١)</sup>، ونهبوا القوافل وهددوا مواصلات الجيش، وقاموا بضرب المكلفين بجمع السلاح من الأهالى، واستردوا منهم السلاح الذى جمعوه<sup>(٢)</sup>، وتعرضوا لذخائر الجيش واستولوا على بعضها كما اعتدوا على مخافر الجنود، وأسروا بعض الضباط<sup>(٣)</sup> وقتلوا كل من وجدوه منفردا من العسكر النظامى، وهاجموا البريد الحكومى ونهبوه وقتلوا بعض حراسه<sup>(٤)</sup> وأسروا جياده، وهاجموا الملاحن الأميرية ونهبوا ما فيها<sup>(٥)</sup>، وقاموا بمهاجمة مقر الحجر الصحى واعتدوا على حراسه وسلبوهم بنادقهم، يضاف الى ذلك اطلاقهم للرعية والاعتداء على أموالهم، ونهبهم للقوافل المارة بين بيروت ودمشق<sup>(٦)</sup>، واعارتهم على بعض الأحياء التجارية وفرضهم للاتاوات على التجار وأصحاب

(١) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم

١٣٦ — ١ بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ .

(٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم

١٤٣ — ٤ بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ من سليمان باشا رئيس الجهادية الى الباشا السر عسكر .

(٤) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية ١٤٨ — ٤

بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ ( من الشيخ على وكيل ناظر البوستة الى ولى النعم ) .

(٥) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٩ — ٨

بتاريخ ٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من محمود نامى الى الجناب العالى .

(٦) محمد كرد على : المرجع السابق ، ص ٦١ .

وعوس الأموال وتهديدهم بحرق مصانعهم وهدم بيوتهم والاستيلاء على أموالهم إذا لم يقفوا بجانبهم فى مناوأة السلطة المصرية<sup>(٧)</sup> .

ونتيجة لانفلات الموقف ، واستمرار عصيان الدروز وتوتر الحالة الأمنية حاول ابراهيم باشا اسداء النصح للعصاة بالكف عن مناوئتهم للحكومة<sup>(٨)</sup> وطمأنتهم بأن الأسلحة العادية التى يملكونها ستظل لهم ، بينما المطلوب منهم فقط هو السلاح الذى صرفته لهم السلطة بطريق الأمانة<sup>(٩)</sup> التى يجب أن ترد لأصحابها ، كما حاول ابعاد الشائعات والوساوس التى تساورهم وتدفعهم الى الامتناع عن تسليم أسلحتهم خصوصا ما تردد بينهم من أنه متى أخذ منهم سلاحهم تسوق السلطة أبناءهم الى التجنيد<sup>(١٠)</sup> .

ولتهدئة الموقف طلب ابراهيم باشا الاجتماع بمشايخ الدروز ونبه عليهم بنصح أبناء طائفتهم بالتوقف عن الثورة حماية لأرواحهم وعمران بلادهم ، وهددهم بالانتقام اذا أصروا على تمردهم<sup>(١١)</sup> يضاف الى ذلك أنه قام بمحاولات للتفريق بين أهالى الجبل بهدف النيل من كل منهم على حدة<sup>(١٢)</sup> ، ولما لم تجد هذه المحاولات نفعا وفشلت كل الطرق

- 
- (٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ٨ بتاريخ ٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من محمد نامى الى الجناب العالى .
- (٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٦ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤ .
- (٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣٨ — ٣ صورة العريضة المرسلة الى السر عسكر .
- (١٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة خطاب متسلم حاصبيا بتاريخ ٢٨ ربيع الاول ١٢٥٦ هـ .
- (١١) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٤٨ — ٤ بتاريخ ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .
- (١٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٥٢ — ٣ بتاريخ ٥ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

السلمية لاقتناع الدروز أرسل ابراهيم باشا انذارا الى دروز حوران يطلب منهم فيه انتهاء عصيانهم للحكومة ، ولما انتهت مدة الانذار دون جدوى أرسل اليهم قواته الفرقة تلو الأخرى لمهاجمتهم<sup>(١٣)</sup> ولقطع الامدادات عنهم ، ونتيجة للارتباط الوثيق الذى يجمع بين الدروز فقد قام شبلى العربان كبير ثوار وادى التميم بمساندة دروز حوران ، وآزره فى ذلك دروز اقليم البلان<sup>(١٤)</sup> وعرب تلك الجهات باستدراج الجيش المصرى الى معقل صخرى شديد الوعورة كثير المغاور يسمى اللجاة<sup>(١٥)</sup> .

وعلى الرغم من التفوق العددي لقوات ابراهيم باشا على الدروز فان وعورة مسالك اللجاة ، وصعوبة قيام قوات نظامية بالحرب فيها قد جعل الدروز يمتلكون زمام الموقف ، ويحدون من خطورة الجيش المصرى المهاجم<sup>(١٦)</sup> ، وقد أوضحت احدى الوثائق ذلك فذكرت بأن العساكر المصرية « كانت تحارب وهى تسير مجتمعة فى منطقة صخرية ، ولم يمكنها الاختباء وراء الصخور القائمة هناك »<sup>(١٧)</sup> . بينما الدروز الذين يعرفون طبيعة بلادهم وأماكنها المحصنة كانوا « قد كمنوا خلف تلك

---

(١٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٦ صورة الوثيقة العربية رقم ٦٧ — ٢ ( مكاتبة من السر عسكر الى الأمير بشير ) .  
(١٤) الأمير حيدر الشهابى : الروض النضير ، القاهرة ، مطبعة السلام ١٩٠١ ، ص ١٠٣٢ .

(١٥) تقع اللجاة فى شمالى حوران وتبلغ مساحتها نحو ١٤٠٠ كيلو متر مربع ، وطولها من الشمال الى الجنوب أربعون ، وعرضها من الغرب الى الشرق خمسة وثلاثون كيلو مترا ، ونظرا لوعورة مسالك هذه المنطقة فقد كانت معقلا للعصاة والمتمردين ، ومن هنا وجد ابراهيم باشا المصاعب عند اقتحامها .

أحمد وصفى زكريا : عشائر الشام ، ج ٢ ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٤٢١ — ٤٢٤ .

(١٦) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(١٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٢٥٣ هـ ( مكاتبة من محمد شريف الى ولى النعم ) .

الصخور وراحوا يطلقون النار على العساكر»<sup>(١٨)</sup> وهم يرددون الأناشيد الحماسية التي من بينها « برهومة وايش لك عندنا حوران والوعرة لنا »<sup>(١٩)</sup> . وكانت نيران العساكر المصرية قلما تصيب الثوار « مهما أكثروا من اطلاق النار الأمر الذى أثار فى الأثقياء روح الجرأة ، وأوقع الرعب فى قلوب العساكر »<sup>(٢٠)</sup> .

وخلال تلك المعارك تصدعت هيبة الجيش المصرى حيث طوقه الدروز فى مسالك اللجاة الوعرة ، وقتلوا منه عشرة آلاف مقاتل بينهم عدد غير قليل من القواد كما أحاطوا بمن تبقى من القوات المصرية ، وألقوا فى قلوبهم الذعر ، وقتلوهم عن بكرة أبيهم<sup>(٢١)</sup> .

ولقد كان لهذه الهزيمة المريرة أصداء واسعة حيث لاقى الجيش المصرى خلالها من الأهوال ما لم يتعرض له فى حروبه مع الدولة العثمانية ، ومع أن القيادة المصرية قد بررتها بوعورة مناطق القتال وانشغالها برصد تحركات الجيوش العثمانية لمواجهة فان محمد على لم يقتنع بذلك بل أرجعها الى سوء تدبير القادة وانصرافهم عن اليقظة المطلوبة فى مثل هذه الأمور<sup>(٢٢)</sup> .

ونتيجة لتأزم الموقف تضاربت الأفكار حول طريقة مواجهة القادمة مع الدروز ، فقد رأى شريف باشا والى الشام أن تتفرغ القوات المصرية

---

(١٨) الوثيقة نفسها .

(١٩) الأمير حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٣ .

(٢٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٢٨ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٢٥٣ (مكتبة من محمد شريف الى ولى النعم) .

(٢١) حنا أبى راشد : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٤٦ بتاريخ ٣ ذى الحجة ١٢٥٣ هـ (صورة الخطاب الموجه من محمد على الى شريف باشا) .

لمواجهة العثمانيين فى حين يتم تسليح قوة من نصارى الجبل لضرب الدروز واخماد ثورتهم<sup>(٣٣)</sup> .

ورأى ابراهيم باشا ضرورة الاستعانة بعساكر غير نظامية من الأرناؤوط فى قتال الدروز لاعتيادهم القتال فى المناطق الجبلية<sup>(٣٤)</sup> .

وقد رفض محمد على الرأى الأول على أساس أنه لا يتفق مع كرامة الحكومة المصرية وشهرتها<sup>(٣٥)</sup> وأصر على أن تقوم القوات المصرية نفسها بهذا العمل ، بينما وافق على الرأى الثانى وأرسل الى ابنه أربعة آلاف أرناؤوطى تحت قيادة مصطفى باشا لمساندته فى محاربة الدروز فى منطقة « الوعرة »<sup>(٣٦)</sup> .

وعلى الرغم من المحاولات المتعددة لايقاف التدهور المستمر فى الجبل فقد استمر الدروز فى عنادهم نتيجة لتثجيع الافرنج لهم وامدادهم لهم بالذخيرة والسلاح ، واتخذوا من منطقة بيروت ميدانا لتمردهم<sup>(٣٧)</sup> فحاولوا الاعتداء على عساكر البحرية هناك<sup>(٣٨)</sup> ثم توجه

---

(٢٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٢٥٣ هـ (مكاتبة من محمد شريف باشا الى ولى النعم) .

(٢٤) حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٢ .

(٢٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٤٦ بتاريخ ٣ ذى الحجة ١٢٥٣ هـ (صورة الخطاب الموجه من محمد على الى شريف باشا) .

(٢٦) حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٣ .

(٢٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ —

٢٩ — ٤ بتاريخ ٦ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(٢٨) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٩١ —

١٢٩ — ١ بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٢٥٦ هـ .

بعضهم الى بعلبك يقصد نهب الغلال الموجودة بها<sup>(٢٩)</sup> ، وازداد تدهور الموقف بانضمام أهالى كسروان الى حركة العدسيان واشتراطهم عدة شروط لايقف تمردهم بدأت بتمسكهم بعدم نزع السلطة لسلاحهم وعدم تجنيدهم ، ورفع الضرائب عنهم ، وانتهت باصرارهم على عدم مهادنة السلطة المصرية<sup>(٣٠)</sup> ثم أخذوا فى التوجه غربى البقاع وبلاد حاصبيا وراشيا وزحلة وبعلبك وغيرها لأجل اشعال نار الفتنة هناك ، وتظاهر معهم على فايد بك أحد أمراء بيت أبى اللمع القاطنين فى مقاطعة المتن<sup>(٣١)</sup> .

ونظرا لغموض الموقف وخطورته ازداد قلق محمد على على قواته وفكر فى المجيء الى الجبل بنفسه للاشراف على سير المعارك<sup>(٣٢)</sup> ، كما فكر فى أن تترك اليه شئون جبل الدروز لادارتها بالطريقة التى تساعد على استقرار النظام فيها ، وذلك بأن ترفع جميع الأمور الخاصة بالجبل اليه<sup>(٣٣)</sup> .

ولكن ابنه ابراهيم هون عليه الأمر ، وأقنعه بأن الأمور ليست بالسوء كما يتصور .

- 
- (٢٩) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٤ - ١ بتاريخ ١١ ربيع الآخر ١٢٥٦ هـ .
- (٣٠) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٧٣ - ٢٩ - ٣ بتاريخ ١٣ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .
- (٣١) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٧٢ بتاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٢٥٦ هـ .
- (٣٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ - ١ بتاريخ ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٦ هـ من ابراهيم باشا الى الجناب العالى .
- (٣٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ - ٢٩ - ٣ فى ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٦ هـ .

وعلى كل حال فإنه خشيية من أن يمتد عصيان الثوار الى الجهات المجاورة للجبل ، فقد رأى ابراهيم باشا ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لردع العصاة ، ونتيجة لذلك طلب من أمير اللواء عثمان باشا القدوم الى بعلبك على رأس خمس آلايات مشاه وآلاى من الفرسان وعدد من مدافع الجبل لتأديب الثوار ، اذا أصروا على الاستمرار فى عصيانهم أما اذا طلبوا الأمان فيعطى لهم<sup>(٣٤)</sup> .

ولما أصر الدرّوز على تمردهم بدأ ابراهيم باشا يتخذ استعداداته لاقتحام الجبل فأمر كبار قواده باتخاذ الطريق السهل خلال الصعود اليه وعدم ارتياد الطرق الصعبة تجنباً للكائنات التى قد ينصبها الثوار للجنود وطلبهم بأن يكون الهجوم على الجبل من جهات متعددة حتى لا يتأخر صعود الجنود الى الجبل فى الوقت المناسب ، وأمرهم بأن يبدأ الهجوم بالآلاى الثانى عشر المشاة أقوى الآلايات المقاتلة يدعمه حوالى ألفى مقاتل من العساكر لتغطية زحفه<sup>(٣٥)</sup> واتخاذ المواقع على المرتفعات لتسهيل الاحاطة بالثوار وعدم الاغترار بكثرتهم العددية ، كما أمرهم باتخاذ أقصى درجات الاستعداد واستنفار الجنود والمحافظة على مؤنثهم تحسباً للظروف الصعبة<sup>(٣٦)</sup> .

وخلال الاستعدادات العسكرية لاقتحام الجبل طلب أهالى « المتن » الأمان « وأظهروا الرغبة فى الانتظام فى سلك الطاعة ، وبدأ يسلمون أسلحتهم »<sup>(٣٧)</sup> أما باقى الدرّوز فقد نزحوا الى جبل حوران وتحصنوا فى قراه الخبرة المنيعة .

---

(٣٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٨ — ١٤  
بتاريخ ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ ( من جناب السر عسكر الى سليمان باشا ) .  
(٣٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٨ — ٦ فى  
١١ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(٣٦) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٤٨ — ٥ ،  
(٣٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة ترجمة الوثيقة التركية  
رقم ١ بتاريخ ١٤ جمادى الاولى ١٢٥٦ هـ .

وخشية أن يتكاتف دروز لبنان ووادي النسيم مع دروز حوران فقد طلب ابراهيم باشا من الأمير بشير المساندة فاستجاب الأمير للامر ، وأرسل حفيده الأمير مجيد قاسم بعسكر لصد دروز لبنان ووادي النسيم عن انجاد دروز حوران والمحافظة على الأمن ، كما أرسل حفيده الثاني الأمير محمود خليل الى اقليم حاصبيا لارهاب الدروز اللبنانيين حتى لا ينجدوا دروز « الوعرة » ، وقد تمكن الأمير مجيد من هزيمة الثوار في اقليم البلان ثم أعطاهم الأمان ، أما الأمير محمود فقد انضم الى قوات ابراهيم باشا ، ولم يلبث أن تغير الموقف عندما حضر شبلى العربان بعساكره من « الوعرة » وحاصر القوات المصرية ثم قام بمهاجمتها حتى فرت أمامه منهزمة نحو البقاع ، وتتبعها حتى قتل منها نحو ثلاثمائة رجل وشتت الباقين (٣٨) .

وهكذا نجح الدروز هذه المرة أيضا في هزيمة القوات المصرية مما شد من عزائمهم ، وززع الثقة في نفوس قوات ابراهيم باشا .

## ثالثا - نجاح القوات المصرية فى اخماد الثورة الدرزية :

نتيجة للهزائم المتكررة التى حاقت بالقوات المصرية أمام الدروز بدأ ابراهيم باشا يبحث عن الطريقة المناسبة التى تمكنه من اخضاع هؤلاء الثوار فرأى أن الاستيلاء على ينابيع المياه التى يستقى منها الدروز فى داخل اللجاة تجعلهم يضطرون الى الخروج من معقلهم فى طلب الماء فيسهل على الجيش المصرى الايقاع بهم<sup>(١)</sup> ، ومن هنا طلب من والده انشاء بعض الابراج اللازمة بالقرب من موارد المياه ليتحصن فيها جنوده ، ويتمكنوا من منع الدروز من الوصول اليها حتى يضطروا الى التسليم<sup>(٢)</sup> .

ولما كان أمر السيطرة على جميع منابع المياه بالغ الصعوبة فقد رأى ابراهيم باشا الاحتفاظ بموارد المياه التى تكفى حاجة جيشه ، وردم ما زاد عن ذلك بالتراب ، ولما تبين له استحالة ذلك هداه تفكيره الى اتباع الطريقة الميكافيلية « الغاية تبرر الوسيلة » فرأى تسميم موارد المياه التى لا تحتاجها قواته فأرسل الى « كلوت بك » ناظر مدرسة الطب فى مصر - فى ذلك الوقت - يطلب منه استحضار محلول قاتل لوضعه فى المياه التى يشرب منها الدروز حتى ينتهى من أمرهم ، ولكن « كلوت بك » لم يستجب لطلبه وحاول منعه من استعمال تلك الطريقة لما فيها من الفتك بأرواح الأبرياء من النساء والأطفال<sup>(٣)</sup> ، ولكن ضيق ابراهيم باشا من استفحال أمر العصاة دفعه الى أن يستحضر صيدليا من دمشق يدعى فيجارى Figari ومعه كميات وافرة من السموم لهذا الغرض .

- 
- (١) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .  
(٢) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الترجمة التركية رقم ٨٠ .  
أصلى بتاريخ ٢٤ جمادى الاولى .  
(٣) محمد كرد على : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٢ .

ويبدو أن ابراهيم باشا تراجع فى النهاية عن هذه الفكرة لمخالفتها للحقوق الانسانية<sup>(٤)</sup> .

وعلى كل حال فقد دارت معارك عنيفة بين الثوار وقوات ابراهيم باشا استبسل الثوار فى معظمها ، وكسروا القوات المهاجمة مرات ومرات حتى جهز لهم ابراهيم باشا جيشا قوامه عشرون ألف مقاتل خاض به معارك طاحنة مع الثوار استمرت حوالى شهرين كانت غالبا ما تدور رحاها حول ينابيع المياه التى توقف عليها مصير المعارك .

وفى نهاية الأمر اضطر الدروز الى الخروج من « اللجاة » لشدة الحر وقلة المياه التى فى حوزتهم ، ولما أطبقت القوات المصرية عليهم<sup>(٥)</sup> لجأوا الى وادى التيم .

وفى وادى التيم نجح الثوار فى احراز العديد من الانتصارات مما أخرج موقف القوات المصرية هناك ، وشجع الدروز على مواصلة تحديهم لابراهيم باشا .

ولما كان أسلوب الخداع مطلوبا فى مواجهة مثل هذه المواقف فقد نصب ابراهيم باشا شركا للايقاع بالدروز وذلك بأن أوعز اليهم عن طريق بعض عيونه بأن مقادير كبيرة من الذخائر واردة للقوات المصرية عن طريق وادى بكا<sup>(٦)</sup> حتى يسرع الدروز الى هذه المنطقة للاستيلاء عليها فيقعوا فى الكمين المعد لهم ، وفعلا فبعد أن انطلت هذه الخديعة على الدروز أرسلوا أعدادا كبيرة من قواتهم تحت قيادة الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر العماد لقطع الطريق أمام الذخيرة الواردة والاستيلاء

(٤) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٥) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

(٦) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

عليها وهناك وقعوا فى الكمين حيث وضعهم ابراهيم باشا بين فيران قواته من الجانبين مما اضطرهم الى الفرار فتعقبتهم القوات المصرية فى وادى بكا وحاصرتهم من كل جانب وسدت عليهم باب الخلاص ، وأعملت فيهم السيف حتى تم استسلامهم<sup>(٧)</sup> وحتى لا يعيد ابراهيم باشا المواجهة معهم مرة ثانية ويتفرغ لمواجهة العثمانيين الذين كانت قواتهم قد اقتربت من حلب فانه لم يرد الانتقام من الدروز الى حد اذلالهم فاتبع معهم سياسة المهادنة بأن أصدر عفوه عنهم ، وأعفاهم من التجنيد ومن الضرائب التى كانت تثقل كواهلهم ، كما أنه لم ينزع منهم سوى السلاح الحكومى ، أما أسلحتهم الشخصية فقد تركها لهم<sup>(٨)</sup> يضاف الى ذلك أنه أفرج عن زعيمهم الذى كان قد اقتنيد اليه أسيرا وأمر باعادة سلاحه اليه بشرط أن يدخل فى طاعته وينتظم فى سلك خدمته<sup>(٩)</sup> كما وافق للدروز على أحقية انتخاب شيوخهم .

وهكذا انتهت الثورة الدرزية فى ٢٢ أغسطس ١٨٣٨ بعد مضى تسعة أشهر من نشوبها<sup>(١٠)</sup> وبعد أن تعرض فيها الجيش المصرى لأهوال لم يتعرض لها من قبل ، وتكبذ فى سبيل اخمادها الخسائر الفادحة سواء أكانت فى الأرواح أم فى المعدات<sup>(١١)</sup> .

- 
- (٧) للتفاصيل انظر : حيدر الشهابى : المصدر السابق ، ص ١٠٣٤ .  
(٨) حنا أبى راشد : المرجع السابق ، ص ٤٩ .  
(٩) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .  
(١٠) سليمان أبو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .  
(١١) الراعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

## رابعاً - ثورات الموارنة ضد الحكم المصرى :

وما كاد ابراهيم باشا ينتهى من نزع سلاح الدروز حتى أمر باسترداد ثلاثة آلاف بندقية التى سلمتها السلطات المصرية لنصارى انجبل<sup>(١)</sup> أثناء اخماد حركة الدروز<sup>(٢)</sup> بحجة أن ترك السلطة للسلاح فى أيديهم أدى الى تردد الدروز فى تسليم أسلحتهم ، ولكن النصارى لم يستجيبوا لذلك فامتنعوا عن تسليم أسلحتهم وقاموا بأثارة باقى سكان الجبل ضد الحكم المصرى<sup>(٣)</sup> فعقد زعمائهم اجتماعا مع زعماء الدروز فى دير القمر ، وتعاهدوا على العمل يدا واحدة ضد ابراهيم باشا وأنشئت لهذا الغرض صناديق لشراء السلاح كما عقد اللثائرون دروز ونصارى وبعض من الشيعة والسنة مؤتمرا فى « انطلياس » فى يونيو ١٨٤٠ أقسموا فيه يمينا عند مذبح كنيسة مار الياس على أن يظلوا يدا واحدة<sup>(٤)</sup> ، وبعثوا بندااء الى أهالى حاصبيا وجبل القدس ونابلس وحرران وعجلون للمشاركة فى الثورة<sup>(٥)</sup> تعاهدوا فيما بينهم على التخلص من الحكم المصرى أو الموت .

وفى هذا المؤتمر انتخب الثوار فرنسيس الخازن قائدا وزعيما<sup>(٦)</sup> ،

---

(١) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة المكاتبه ٦٩ اصلية بتاريخ  
غرة ربيع الاول ١٢٥٦ هـ .

(٢) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٢٨ بتاريخ  
غاية ربيع الاول ١٢٥٦ هـ .

(٣) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ وثيقة رقم ١٤٨ - ٥ بتاريخ ٢٦  
ربيع الاول ١٢٥٦ هـ (صورة خطاب من الأمير بشير الشهابى الى رئيس رجال  
الجهادية) .

(٤) الخصوص : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٥) محافظ عابدين : وثيقة رقم ٩٥ بتاريخ غاية ربيع الاول ١٢٥٦ هـ .

(٦) فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا  
الحاضر ، بيروت ، ص ٥١٥ .

وقد انضم بطريرك الكنيسة المارونية ورجال الدين فيها الى الثوار ة فأعلن البطريرك مرسوم الحرمان ضد كل من لا يشترك فى الثورة ضد القوات المصرية<sup>(٧)</sup> .

ونتيجة لذلك اندلعت الثورات ضد الحكم المصرى فى مناطق مختلفة فى زحلة وبعلبك والبقاع وطرابلس<sup>(٨)</sup> ة وقام الثوار بمهاجمة القوات المصرية والاستيلاء على مطاحن الغلال الحكومية وغيرها من المستودعات الأميرية .

وباستناد نار الثورة واستفحال مخاطرها بدأ ابراهيم باشا فى تقييم موقفه ة وبعد أن وجد أن هناك اتفاقا حقيقيا بين الدروز والموارنة وان الجبل برمته قد عمد الى العصيان ة رأى أنه من الأسلم تسكين الموقف ة فدعا بعض رهبان وقساوسة دير القمر ووجهائه لاقناعهم بنصح نصارى الجبل بالتوقف عن الثورة ة والعدول عن عنادهم بتسليم البنادق التى فى حوزتهم ة ووعدهم بأن السلطة لن تجند منهم أحدا ة وهددهم بأنه فى حالة عدم الاستجابة لمطالبه ة والاصرار على عنادهم فانه سيقوم بمحاصرة الجبل وتدميره ة وتخريب بيوتهم وتشتيت أولادهم<sup>(٩)</sup> .

ويبدو أن نصائح ابراهيم باشا المزوجة بالتهديد والوعيد قد وجدت من يستمع اليها فنصح البطريرك مار يوسف أبناء جلدته بتسكين ثورتهم حتى لا يتعرض الجبل للخراب<sup>(١٠)</sup> .

ولما كانت للثوار مطالب أساسية حتى يتوقفوا عن الثورة فقد

(٧) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٨) الخصوصى : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٤٣ - ٦ .

(١٠) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم

١٧٨ - ٢٩ - ١٢ بتاريخ ١٧ ربيع الثانى ، ١٢٥٦ هـ .

أرسلوها الى الأمير بشير ليبلغها الى ابراهيم باشا بينوا فيها الظلم الواقع عليهم نتيجة لاصرار السلطة المستمر على تجنيدهم ونزع سلاحهم وتسخيرهم فى منجم الفحم الحجرى وفرضها للضرائب العديدة عليهم<sup>(١١)</sup> . وطالبوا برفع هذه الأعباء ، وألا تزيد الضريبة التى يدفعونها عن ضريبة الميرى ، على ألا تدفع الا على الأحياء فقط ، كما أبدوا رغبتهم فى المشاركة السياسية لبلادهم بإنشاء ديوان للمشورة فى بيت الدين يؤلف من عضوين عن كل طائفة<sup>(١٢)</sup> وهددوا باستمرار عصيانهم حتى تتحقق مطالبهم كما طالبوا بضممان من الدول الأوربية لتنفيذ هذه المطالب<sup>(١٣)</sup> وقد أستجاب ابراهيم باشا لهذه المطالب بعد أن أستأذن والده بأن « يغض النظر عن ثلاثة الآلاف بندقية الموجودة فى أيديهم »<sup>(١٤)</sup> .

ولما رأى الثوار ميلا من السلطة للأستجابة لمطالبهم أعلن أهالى دير القمر ومقاطعتى شحار ومناصف الخضوع والطاعة للسلطة ، وتعهدوا برد كل ما اغتصبوه منها بشرط أن يتم الصفح عنهم<sup>(١٥)</sup> ، ولما أعطاهم ابراهيم باشا الأمان أخذوا الى السكن وعادوا الى أعمالهم واشتغلوا فى تجارتهم لكسب عيشهم<sup>(١٦)</sup> كما قاموا بتسليم جيات البريد التى كانوا

---

(١١) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية رقم ١٥٢ — ٣ بتاريخ ٥ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٢) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(١٣) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(١٤) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٩ — ١ بتاريخ ١٥ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(١٥) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ صورة الوثيقة العربية ١٤٩ — ٤ بتاريخ ٣ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

(١٦) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ٧ بتاريخ ٦ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

- قد استولوا عليها ، والأشياء الأخرى التي اغتصبوها من السلطة (١٧) .
- وبذلك توقفت ثورة معظم أهالى الجبل فيما عدا أهل المتن الذين أخذت السلطة تسعى حثيثا لتهدئتهم وادخالهم فى دائرة الخضوع (١٨) ولكن ما لبثت الأمور أن تطورت بتدخل الدول الأوربية فى المسألة ، وانتقال القضية برمتها الى طور جديد .

---

(١٧) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ - ٢٩ - ٤ بتاريخ ٦ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٨) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة رقم ١٥٢ - ١ بتاريخ ٧ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ .

## خامسا — تحريض بعض الدول الأوروبية والدولة العثمانية للثوار ضد الحكم المصرى :

الواقع أنه كان للدسائس والشائعات الأوروبية والتركية أكبر الأثر فى استثمار هياج الثوار وفى استمرار عصيانهم<sup>(١)</sup> فقد خشيت الدول الأوروبية من عواقب تعاظم قوة محمد على بعد غزوه لبلاد الشام وتهديده للاستانة ، فكانت إنجلترا تحرص بنوع خاص على ايجاد المضاعب أمام قواته لاجباره على التراجع والانسحاب فراقبت الأمور مراقبة دقيقة كما زرعت بذور الثورة بين الأهالى عن طريق عملائها وألقت فى روعهم أن أوروبا مصممة على اجلاء القوات المصرية من بلاد الشام بالقوة<sup>(٢)</sup> اذا لم يرضخ محمد على للحلول السياسية ، كما شجعتهم على العصيان بحجة أنهم اذا ثبتوا على عصيانهم نحو خمسة عشر يوما سيجدون سفن أوروبا الحربية قادمة لمساعدتهم ، والى جانب ذلك كان القنصل الانجليزى يبلغ الثوار باستعدادات السلطة ضدهم وبالكماثن التى أعدت لهم من قبلها فعلى سبيل المثال حذرهم من الاقتراب من منطقة الحجر الصحى نظرا لقيام ابراهيم باشا بنصب بعض مدافعه فيها لحصد كل من يقترب منها<sup>(٣)</sup> .

والى جانب ذلك كان بعض عملاء الانجليز يمدون الثوار بالبارود والرصاص والطعام للاستمرار فى عصيانهم وعلى سبيل المثال تذكر احدى الوثائق « أن الانجليز أرسلوا الى العصاة ألف (دسته) من الرصاص

---

(١) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ١ بتاريخ ٨ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(٢) سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٣) محافظ عابدين : محفظة ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ — ٧ بتاريخ ٦ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ ، ص ٤ .

ركمية من البارود»<sup>(٤)</sup> كما كانوا يمدونهم بكافة المعلومات ويؤكد ذلك ما ذكرته وثيقة أخرى من أن إحدى السفن الانجليزية أقلعت من أمام بيروت « وأبحرت الى ميناء جونبة وأرست فيه وأنزلت الى البحر أحد قواربها .. وفى هذه الفترة وصل الى السفينة شخصان من أهالى جونبة سابحين وصعدا الى السفينة ، وهناك جرت مكالمات معهما كثيرة ثم سلمت اليهما مكاتبات وعادا الى البر سابحين »<sup>(٥)</sup> . كما كانت هناك إحدى السفن تقصر مهمتها على « اثاره الفتنة فى جبال بر الشام »<sup>(٦)</sup> يضاف الى ذلك أن أحد التجار الانجليز كان يقوم « بالدعاية للفتنة وطاق كثيرا فى جهة الزوق فى جبل الدروز تحقيقا لهذه المهمة التى انتدب لها »<sup>(٧)</sup> . هذا الى جانب تحريض الانجليز لباقي الأهالى على الانضمام الى الثوار عن طريق شائعاتهم المغرضة<sup>(٨)</sup> .

أما عن فرنسا فقد كانت ترغب فى التعرف على أخبار بلاد الشام أولا بأول رغبة منها فى ترجيح كفتها السياسية على الانجليز وروس . وتحقيقا لآمالها فى هذه المنطقة<sup>(٩)</sup> . ونتيجة لذلك شجعت اللبنانيين على استمرار عصيانهم<sup>(١٠)</sup> ودست بعض مواطنيها مع الثوار لتشنديد عزائمهم على مقاومة السلطة ، وتوزيع الرصاص والبارود والنقود

(٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٤—١ بتاريخ ١١ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من (محمد شريف باشا الى الجناب العالى) .

(٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة ترجمة المكاتبه التركيه رقم ٢٤٠ — ٢٩ بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى ١٢٥٦ هـ .

(٦) الوثيقة نفسها .

(٧) الوثيقة نفسها .

(٨) لمزيد من التفاصيل انظر : محفظة رقم ٢٥٩ الوثيقة ١٥٨ — ٦ .

(٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الكتاب العربى رقم ١٥٤—

٣ بدون تاريخ .

(١٠) الوثيقة نفسها .

عليهم<sup>(١١)</sup> . كما قام القنصل الفرنسى فى بيروت بمساندة هذه الحركات مما جعل الادارة المصرية تتشكك فى أمر وجوده وتطلب استبداله<sup>(١٢)</sup> يضاف الى ذلك أن البابوية كان لها مندوب فى الجبل « لا ينفك عن معاونة هؤلاء العصاة ولا يزال يؤيدهم فى عصيانهم »<sup>(١٣)</sup> .

والى جانب ذلك كان هناك شخص من سردينيا « يقوم بمعاونة هؤلاء العصاة »<sup>(١٤)</sup> .

ونتيجة لهذه المعاونة من الأوربيين للعصاة ، رد لهم الثوار الجميل فكتب زعمائهم الى القناصل أمانا « بأنهم لم يتعرضوا لاتباعهم اذا ما ساروا الى أى جهة من الجهات وأن فى استطاعتهم أن يحملوا غلالهم لطحنها فى المطاحن دون أن يصابوا بسوء »<sup>(١٥)</sup> .

أما عن مؤازرة الدولة العثمانية للثوار فمنذ البداية والدولة العثمانية تبذل كل ما فى وسعها من أجل القضاء على نفوذ محمد على فتارة اتهمته بالكفر والالحاد ، وتارة أخرى اتهمته بالمروق عن الاسلام لعصيانه الخليفة<sup>(١٦)</sup> .

---

(١١) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٧١ صورة الانادة الواردة من محافظ بيروت الى سليمان باشا بتاريخ ١٤ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ وايضا سليمان ابو عز الدين : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(١٢) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

(١٣) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٧١ ، صورة الانادة الواردة من محافظ بيروت الى سليمان باشا بتاريخ ١٤ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ وثيقة رقم ١٧١ صورة الانادة الواردة من محافظ بيروت الى سليمان باشا بتاريخ ١٤ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٥) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ — ٨ بتاريخ ٤ ربيع الاخر ١٢٥٦ هـ من ( محمود نامى الى الجنباب العالى ) .

(١٦) لطيفة سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

والى جانب ذلك فقد أخذ العثمانيون فى دس الدسائس ضد الادارة المصرية وحاولوا استمالة أهالى الجبل بشتى الوسائل اليهم فاستمالوا ارباب الزعامات منهم ، ووعدهم برفع كافة المظالم عنهم ، واقامة العدل بينهم حينما تعود الأمور اليهم ، وطالبوهم بنصرة السلطان أمام محمد على والخضوع للدولة العثمانية التى نعتوها « بالوالدة الرحيمة لهم » كما طالبوهم أن يثمروا عن ساعد الجد حتى يتم لهم التخلص من قوات محمد على<sup>(١٧)</sup> يضاف الى ذلك أن أخذ بعض أتباع الدولة العثمانية فى استنفار أبناء الشام المسلمين لمقاومة ابراهيم باشا فصعد بعضهم الى احدى المآذن وصاح بأعلى صوته فى الحاضرين « ليقم كل رجل منكم يحب الرسول الى سلاحه فيتقلده وليذهب لقتال ابراهيم باشا الرجل الكافر الذى لا ايمان له » كما اتهمه بالسكير « الذى يد من الخمر ويشرب النبيذ ، ويأكل لحم الخنزير ..والذى يسكن الأديرة مع القساوسة ، ويصلى معهم ولا يذهب الى المساجد قط »<sup>(١٨)</sup> .

ونتيجة لكل هذه الشائعات المغرضة أعلن أهالى الجبل خضوعهم للسلطان عبد المجيد وأرسلوا اليه شاكين سوء أحوالهم<sup>(١٩)</sup> ، فحرضهم على استمرار مناوشاتهم للقوات المصرية ، حتى يتم اخراجها من بلاد الشام تماما .

---

(١٧) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة ١٥٤ - ٥ بتاريخ ٢٥ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .

(١٨) بدير كريتس : ابراهيم باشا - ترجمة محمد بدران - القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧ ، ص ٢٢٠ . وايضا :

Dodwell, Henry : The Founder of Modern Egypt p. 156.

(١٩) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ صورة المكتبة العربية ١٦٤-٢ بتاريخ ٢٨ ربيع الثانى ١٢٥٦ هـ .